

لا عزاء للنوكى والمغفلين.. انه عجل السامري في "بلد العميان"

التفنا من حولها ودعمناها بكل ما أوتينا من قوة وآمنا بحکامها وما أفتى به وعاظ عروشهم طيلة القرن الماضي على أقل تقدير، وصدقنا كل ما قيل لنا على المنابر وفي خطب الجمعة وعبر وسائل اعلامهم الضال المضل وكأن كل ما يقولونه وهي منزل غير مسموح مناقشه، مطأطئين رؤوسنا كالأنماع في حل الجهل والضلال التي دفعونا نحوها باسم الدين وآيات القرآن الكريم المزيفة تفسيرها حتى صدقنا أن عجل السامري هدية ربانية سماوية مفروضة الطاعة والتقديس وإن سنكون في اعداد من "خرج على الولي" وعليه تقديم عنقه "لسيف الحرابة".

نسينا أو تناسينا عامدين أسطورة "أوديب" وكيف قام بقتل أبيه وتزوج أمه في مشهد درامي مثير، تبعه قتل أخيه وأخواته بعد زرع الرعب وال الوحشة بين سكان قصوره ولم يعد يهتم لحجم القرابين التي ستقدم تحت أرجل عرشه الذي لا يهمه سوى إعتلائه بأي ثمن قريب كان أو بعيد فباتت سجونه مملوءة بالأبراء العزل المطالبين بحقوقهم المشروعة، حتى صدق علينا مقوله رئيس الوزراء البريطاني الأسبق تشرشل "إذا أردت أن تعرف أي شعب في العالم، انظر إلى برلمانه ومن يمثله فيه .. وبعدها سوف تعرف أي الشعوب يستحق رمي الورود عليه أو ضربه بالأحذية"، مع اعتذاري من الأحرار من أبناء شعبي.

قالوها وبكل صراحة.. لا يؤيد الفساد وال fas...، ولا يعارض الإصلاح والتغيير نحو الأفضل، إلا فاسق.. ولا يجامِل الظلم والاستبداد والفرعنة والتفرد، إلا فاجر.. ولا يطلب للعاشبين والسرق، إلا منافق.. ولا يستهين بتصنيفات المطالبين بحقوق الناس، إلا مارق عدو آه.. ولا ينكر ويستهين بإنجازات وموافق المتصدين للحق والحقيقة، إلا خائن.. ولا يفكك المجتمع الواحد المستهدف، إلا عميل مذبذب.. ولا يستثمر المشاكل الداخلية بالفرقة المذهبية والقومية والعرقية والتكفيرية، إلا خبيث.

بتنا "بلد العميان" حيث الجهل والفساد والفساد والتخلص والعنف والتعصب يسوده بسبب الأفكار غير الصالحة التي هيمنة علينا بداعي دينية وعصبية جاهلية، فيما أي دعوة تنويرية تواجه برفض وريبة وعنف.. وباتت الطائفية البغيضة وكره الآخر المختلف تسود مجتمعنا، حيث الواحد منا أصبح يبحث جاهداً لإ يصل الأدلى لكل من أختلف معه في العقلية والمعتقد والنهج.. بتنا ذلك المجتمع الذي ينتشر فيه أفراد جل اهتمامهم هو ماذا يأخذون منه وليس ماذا يقدمون له.. حتى بلغنا نقطة أننا نخشى أن نبصر مثل العالم ونصر على رفض أي فكرة جديدة تساعدنا على البصر- من وهي قصة "بلد العميان"

الشهيرة للكاتب (هيربرت . ج . ويلز) طبعت لأول مرة عام 1936 وما زالت حتى الان واحدة من اروع القصص العالمية.

ثم لا ي العمل على لم الشمل وتوحيد المصف، إلا صادق.. ولا يسعى إلى تعزيز عوامل الصمود في وجه الطاغية والحاكم المستبد، إلا مخلص.. ولا يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه وقلمه ولسانه من أجل خلاص أبناء جلدته، إلا مؤمن.. ولا يتحرك من أجل عزة وكرامة واستقلال وقوة شعبه وأمته، إلا مسلم عزيز بعزة الله وعزه الإسلام.. ولا يبادر إلى الاعتصام بحبل الله ومواجهة التفرق والشردمة والنفاق والدل والغدر والخيانة والبطش الطائفي، إلا المستحبين الله قولاً وعملاً.. ولا يأنف من الحق، إلا ساخر ومغرور.. ولا يميز بين الصواب والخطأ والحقيقة والضلال، إلا من تشبع نفسه بالوعي.

ذات يوم سأله صحي مصري الكاتب الشهير عباس محمود العقاد من منكما أكثر شهرة، أنت أم محمود شكوكو (مونولوجيست هزلي شهير، كان يرتدي ثياب المهرجين لإضحاك الناس)؟!، فرد العقاد باستغراب: مين شكوكو هذا؟!.. عندما وصل الخبر لشكوكو قال للصحفي: «قل لصاحب العقاد ينزل ميدان التحرير، ويقف على أحد الأرصفة وسأقف أنا على الرصيف المقابل، ونشوف الناس (هتجمع) على مين..!».. وهنا رد العقاد: «قولوا لشكوكو ينزل ميدان التحرير ويقف على رصيف ويخليل «رقّاصة» تقف على الرصيف الثاني ونشوف الناس (هتجمع) على مين أكثر..؟!.. رغم أن عبارة العقاد كانت قاسية لكنها تلخص واقعاً مريضاً مفاده أنه كلما تعمّق الإنسان في الإبتذال والهبوط والإنحطاط، ازدادت جماهيريته وشهرته..»

المفكر والفيلسوف الكندي "آلان دونو" يشير في كتابه "نظام التفاهمة" إلى أن التافهين قد حسموا المعركة لصالحهم طيلة العصور، لقد أمسكوا بكل شيء بكل تفاهتهم وفسادهم، فعند غياب القيم والمبادئ الراقية وإفسادها يطفو الفساد المبرمج ذوقاً وأخلاقاً وقيماً!.. إنه زمان الصعاليك الهاطي!.. نحن من قدس "عجل السامي" ورفعناه عالياً وأنزلنا الرفيع العالم والداعية المجاهد والناشط الوعي والسياسي المحب لوطنه إلى هاوية السقوط وسلمتنا رؤوسهم إلى شكوكو.. إنه الميل نحو السذاجة والتهريج والسطحية الذي لم يعد شيء جديد في صفوفنا، حيث لا زلنا نهتف باسمه ونصدق لأقواله ونرتئن لطباّئنه ونحمد ميوله الإجرامية والفرعونية الطائشة..

فكم من شكوكواليوم يُمَجَّد ويُرْفع عالياً، وكم من شريف في غيا به الإهمال؟!.

صنعنا لأنفسنا عصراً صار فيه الكذب مهنة لأكثر أهله لأنه صار أقصر الطرق إلى عقول الناس البسطاء، عبر ما يطلق عليه بالاعلام الذي سُخِّر لسياسة الأسرة الجاثمة على ثروات بلاد الحرمين زوراً وبهتاناً

حتى باتت تقلّاعب بعقول أبناء شعبي كيّفما تشاء منذ بدايات القرن الماضي عندما تربعت علا السُّلطة بما تفاقيه الدرعية بين فكي الغدر والخيانة السياسية منها والدينية وباتت "قرن الشيطان" بخدعها وخياناتها وطغيانها وجبروتها وراحت تسوق الشعب إلى حيث مخططاً لها المشؤومة، وبتواهم الأعراب الأكثر صهيونية من سادتهم وقادتهم لأن الذيل دائمًا يخضع ويخشى أكثر من الرأس، فعملوا بكل جدهم وطاقتهم وقوتهم لتدمير المنطقة وزعزعة استقرارها بكل ما أتوا من قوة منحthem إليها الأنظمة الاستعمارية الداعمة وأموال البترول المنهوب من لقمة عيش الشعب.

"عجل السامي" بات اليوم هو الدعوة إلى "الإبراهيمية" في حرب ناعمة ومحاولة لصناعة دين جديد يعزز الإسلاموفobia بذريعة التعايش السلمي بين الأديان فيما حقيقة الأمر هو تفريق وتشتيت أكثر لحدة المسلمين وقوتهم وتقافهم وتعاونهم لمحي القضية الفلسطينية القضية الأم وإنها قضية عودة اللاجئين إلى ديارهم بمخطط التجنيس الذي أوصى به وزير الخارجية السعودي "فيصل بن فرحان" بقوله إن بلاده ستبذل جهوداً لجمع الفلسطينيين والإسرائيليين على طاولة المفاوضات - خلال مقابلة مع "مارك بيرلمان" على قناة "فرنسا 24" الأسبوع الماضي، بعد أيام من قوله لشبكة "سي إن إن" الأمريكية، من أن تطبيع العلاقات المحتمل مع "إسرائيل" يعود بـ"فائدة هائلة" للرياض.

أحد أهم أسباب ما نحن فيه من مصائب هو أننا أمّة بلا ذاكرة كما أننا بلا قيادة حتى قوى المعارضة التي تعلن عن نفسها بين الحين والآخر سرعان ما تختفي في أزقة وأروقة إما وعد السلطة الحاكمة، وليس ثمة حاجة لبذل مجهود كبير من قبل الحاكم لخداعنا وكل ما هو مطلوب لسوقنا إلى البحر ثم العودة بلا شربة ماء، إبتسامة صفراء وفنجان من القهوة وبعض الوعود الجوفاء التي سرعان ما ترمينا إما وراء القضبان أو مشردين في البلدان.. أنه الاتكال على المني وهي بضاعة التوكى (أي الحمقى والعاجزون الجهلة أجلكم الله)، نصدقها وندفع ثمنها بأرواحنا وماء وجهنا مقدماً على طبق الاعتماد دون الحصول على أي ضمان.. فلا عزاء للحمقى والمغفلين في بلد العميان!!.